صنائع المعروف تقي مصارع السّوء



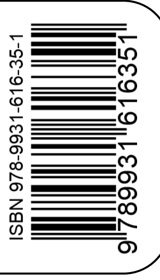
إعداد
بشير شبرو

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

صَنائعُ المعْروفِ

تقِي مصارعَ السّوء

دار الفرقان للنشر والتوزيع - ١٤٤٢/٢٠٢٠
ردمك : ٩٧٨-٩٩٣١-٦١٦-٣٥-١
الإيداع القانوني: السداسي الثاني، ٢٠٢٠
Dar Al-furquan Edition. 2020
ISBN: 978-9931-616-35-1
Dépôt Légal: 2eme semestre. 2020



الطبعة الأولى
١٤٤٢ هـ — ٢٠٢٠ م

الصف والإخراج الفني
بدار الفرقان



المقر التجاري: ٢٠ شارع أحمد حسينة
باب الوادي – بجوار مسجد السنة - الجزائر
جوال: ١٠ ٥٨ ٩٦ ٥٥٦ (٠) ٢١٣ ٠٠
dar.alfurquan@gmail.com

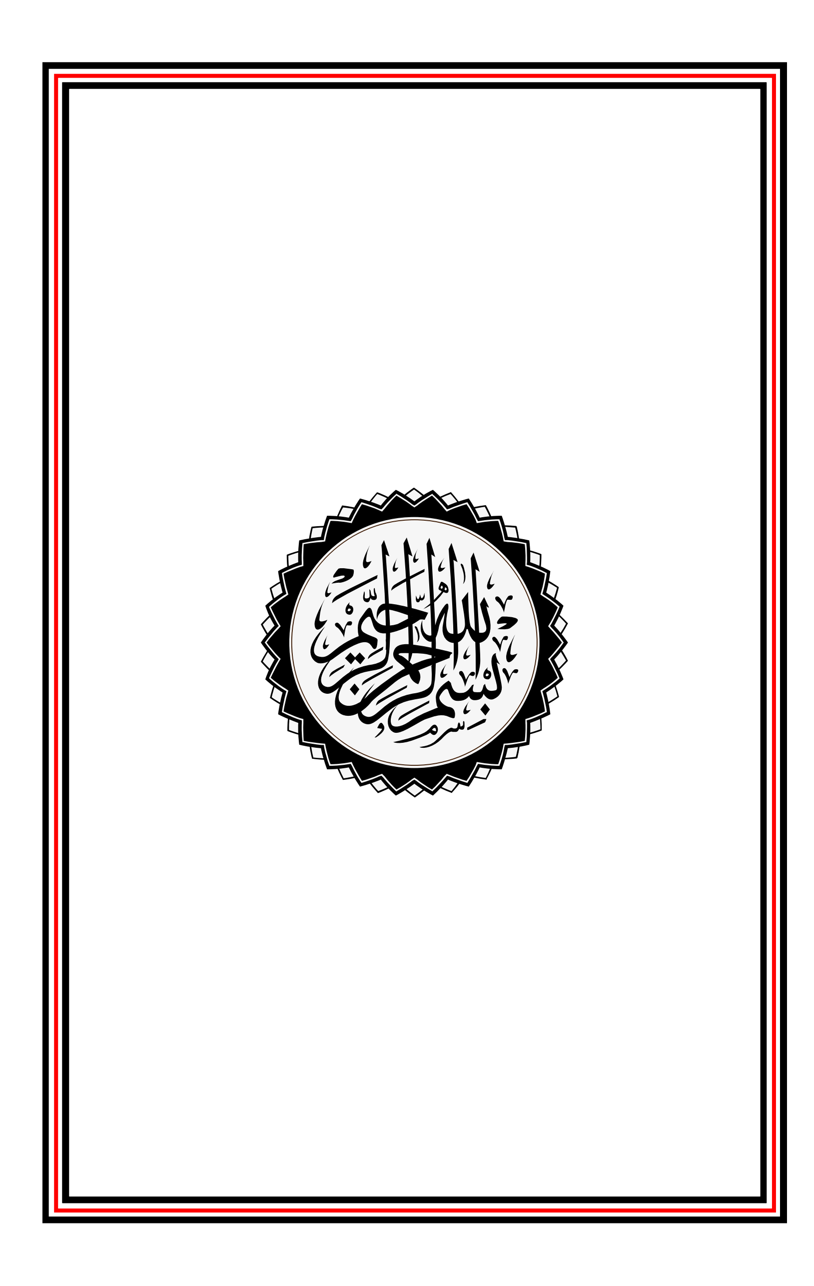
صَنائعُ المعْروفِ

تقِي مصارعَ السّوءِ

إعداد

بشير شبرو





قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنما يفضل الغنى لأجل الإحسان إلى الخلق والإنفاق في سبيل الله والاستعانة به على طاعة الله وعبادته وإلا فذات ملك المال لا ينفع بل قد يضر...". [مجموع الفتاوى: (١١/ ١٣١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الصدقة من جنس القتال، فالجبان يرجف، والشجاع يثبت" . [مجموع الفتاوى (٩٥/ ١٤)].

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجبن والبخل قرينان: فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل". [الجواب الكافي: (١/ ٧٣)].

قال الإمام الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"الشَّجَاعَة والسخاء أخوان، فمن لم يجد بماله، فلن يجود بنفسه". [السير: (١٩ / ٢٣٥)].

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

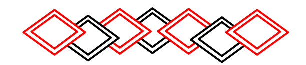
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

[النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب ٧٠- ٧١].

أمّا بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.



الجواد الكريم سبحانه يحث عباده على الإنفاق وبذل المعروف في كتابه الكريم

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤].

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٢٧٢﴾ [البقرة: ٢٧٢].

قال الله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢﴾ [آل عمران: ٩٢].

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ: ٣٩].

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾ [البقرة: ٢٧٣].

قال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨﴾ [الإنسان: ٨].

قال الله تعالى:﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩].

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٢٦١﴾ [البقرة: ٢٦١].

قال الإمام المفسر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا مثلٌ ضربه الله تعالى لتضعيف الثَّواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته،

وأنَّ الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ".

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤﴾ [البقرة: ٢٧٤].

قال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا مدحٌ منه تعالى للمنفقين في سبيله، وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات مِن ليلٍ أو نهارٍ، والأحوال مِن سرٍّ وجهار، حتى إنَّ النَّفقة على الأهل تدخل في ذلك أيضًا".

قال الإمام السَّمرقندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذا حثٌّ لجميع النَّاس على الصَّدقة، يتصدَّقون في الأحوال كلِّها، وفي الأوقات كلِّها، فلهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون". [بحر العلوم للسَّمرقندي (١/ ١٨١)].

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

قال إمام المفسّرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: "ما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيرًا لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا؛ أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدمتموه لو لم تكونوا قدَّمتموه".

قال سبحانه: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ

مِّنۡهَاۖ وَمَن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةٗ سَيِّئَةٗ يَكُن لَّهُۥ كِفۡلٞ مِّنۡهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقِيتٗا ﴿٨٥﴾ [النساء: ٨٥].

قال الإمام المفسِّر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "من سعى في أمر فترتب عليه خير، كان له نصيب من ذلك".

قوله: (مقيتًا)، قال عبدالله بن عباس: أي: حفيظًا.

قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ۩ ﴿٧٧﴾ [الحج: ٧٧].

قال العلامة الإمام السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يأمر تعالى، عباده المؤمنين بالصلاة، وخص منها الركوع والسجود، لفضلهما وركنيتهما، وعبادته التي هي قرة العيون، وسلوة القلب المحزون، وأن ربوبيته وإحسانه على العباد، يقتضي منهم أن يخلصوا له العبادة، ويأمرهم بفعل الخير عموما.

وعلق تعالى الفلاح على هذه الأمور فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أي: تفوزون بالمطلوب المرغوب، وتنجون من المكروه المرهوب، فلا طريق للفلاح سوى الإخلاص في عبادة الخالق، والسعي في نفع عبيده، فمن وفق لذلك، فله القدح المعلى، من السعادة والنجاح والفلاح".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "...﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾ وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ وهذان الأصلان هما جماع الدين العام كما يقال التعظيم لأمر الله والرحمة لعباد الله.

فالتعظيم لأمر الله يكون بالخشوع والتواضع وذلك أصل التقوى والرحمة لعباد الله بالإحسان إليهم وهذان هما حقيقة الصلاة والزكاة فإن الصلاة متضمنة للخشوع

لله والعبودية له والتواضع له والذل له وذلك كله مضاد للخيلاء والفخر والكبر. والزكاة متضمنة لنفع الخلق والإحسان إليهم وذلك مضاد للبخل. ولهذا وغيره كثر القران بين الصلاة والزكاة في كتاب الله". [مجموع الفتاوى: (١٤/ ٢١٥)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الحديد: ١١]، فصدَّر سبحانه الآية بألطف أنواع الخطاب، وهو الاستفهام المتضمن لمعنى الطلب، وهو أبلغ في الطلب من صيغة الأمر، والمعنى: هل أحد

يبذل هذا القرض الحسن فيجازى عليه أضعافاً مضاعفة؟ وسمى ذلك الإنفاق قرضاً حسناً حثاً للنفوس وبعثاً لها على البذل لأن الباذل متى علم أن عين ماله يعود إليه ولا بد طوّعت له نفسه بذله وسهل عليه إخراجه.

١- فإن علم أن المستقرض ملى وفى محسن كان أبلغ في طيب قلبه وسماحة نفسه،

٢- فإن علم أن المستقرض يتجر له بما اقترضه وينميه له ويثمره حتى يصير أضعاف ما بذله كان بالقرض أسمح وأسمح،

٣- فإن علم أنه مع ذلك كله يزيده من فضله وعطائه أجراً آخر من غير جنس القرض وأن ذلك الأجر حظ عظيم وعطاءٌ كريم فإنه لا يتخلف عن قرضه إلا لآفة في نفسه من

البخل والشح أو عدم الثقة بالضمان، وذلك من ضعف إيمانه، ولهذا كانت الصدقة برهانـًا لصاحبها.

وهذه الأمور كلها تحت هذه الألفاظ التي تضمنتها الآية، فإنه سبحانه سماه قرضـًا، وأخبر أنه هو المقترض لا قرض حاجة، ولكن قرض إحسان إلى المقرض استدعاه لمعاملته، وليعرف مقدار الربح فهو الذي أعطاه ماله واستدعى منه معاملته به، ثم أخبر عن ما يرجع إليه بالقرض وهو الأضعاف المضاعفة، ثم أخبر عما يعطيه فوق ذلك من الزيادة وهو الأجر الكريم.

وحيث جاءَ هذا القرض في القرآن قيده بكونه حسنـًا، وذلك يجمع أموراً ثلاثة:

أحدها: أن يكون من طيب ماله لا من رديئه وخبيثه.

الثاني: أن يخرجه طيبة به نفسه ثابتة عند بذله ابتغاءَ مرضاة الله.

الثالث: أن لا يمن به ولا يؤذى.

فالأول يتعلق بالمال، والثاني يتعلق بالمنفق بينه وبين الله، والثالث بينه وبين الآخذ". [طريق الهجرتين: (١/ ٥٣٨ - ٥٣٩)].

قال العلامة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾﴾ [البقرة: ٢٦٨]، هذه الآية تتضمن الحض على الإنفاق والحث عليه بأبلغ الألفاظ وأحسن المعاني، فإنها اشتملت:

١ - على بيان الداعي إلى البخل،

٢- والداعي إلى البذل والإنفاق،

٣- وبيان ما يدعوه إليه داعى البخل،

٤- وما يدعو إليه داعى الإنفاق،

٥- وبيان ما يدعو به داعى الأمرين.

فأخبر سبحانه أن الذي يدعوهم إلى البخل والشح هو الشيطان، وأخبر أن دعوته هي بما يعدهم به ويخوفهم من الفقر إن أنفقوا أموالهم، وهذا هو الداعي الغالب على الخلق، فإنه يهم بالصدقة والبذل فيجد في قلبه داعياً يقول له: متى أخرجت هذا دعتك الحاجة إليه وافتقرت إليه بعد إخراجه، وإمساكه خير لك حتى لا تبقى مثل الفقير، فغناك خير لك من غناه.

فإذا صور له هذه الصورة أمره بالفحشاء وهى البخل

الذي هو من أقبح الفواحش. فهذا وعده وهذا أمره، وهو الكاذب في وعده، الغارّ الفاجر في أمره.

فالمستجيب لدعوته مغرور مخدوع مغبون، فإنه يدلى من يدعوه بغروره، ثم يورده شر الموارد.

كما قال: دلاهم بغُرور ثم أوردهم إن الخبيث لمن والاه غرّار.

هذا وإن وعده له الفقر ليس شفقة عليه ولا نصيحة له كما ينصح الرجل أخاه، ولا محبة في بقائه غنيـًا، بل لا شيء أحب إليه من فقره وحاجته، وإنما وعده له بالفقر وأَمره إياه بالبخل ليسيء ظنه بربه ويترك ما يحبه من الإنفاق لوجهه فيستوجب منه الحرمان.

وأما الله سبحانه فإنه يعد عبده مغفرة منه لذنوبه، وفضلاً

بأن يخلف عليه أكثر مما أنفق وأضعافه إما في الدنيا أو في الدنيا والآخرة، فهذا وعد الله وذاك وعد الشيطان فلينظر البخيل والمنفق أي الوعدين هو أوثق وإلى أيهما يطمئن قلبه وتسكن نفسه؟ والله يوفق من يشاءُ ويخذل من يشاءُ وهو الواسع العليم". [طريق الهجرتين: (١/ ٥٥٣)].



أجود وأكرم الخلق ﷺ يحث على الإنفاق والبذل والنفع للخلق

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(ما من يوم يصبح العبادُ فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهمّ أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهمّ أعطِ ممسكًا تلفا)**. [رواه البخاري ومسلم].

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(قال الله تعالى: "أنفِق يا ابن آدم ينفق عليك")**. [رواه البخاري ومسلم].

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(اتقوا النار ولو بشق تمرة)**. [رواه البخاري ومسلم].

عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**أَيُّكم مالُ وارثِه أحبُّ إليه من مالِه؟**. قالوا: يا رسول الله! ما منا أحدٌ إلا مالُه أحبُّ إليه. قال: **فإنَّ مالَه ما قدَّم، ومالَ وارثه ما أخَّر**). [رواه البخاري والنسائي].

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**كل امرئٍ في ظلِّ صدقتِه حتى يُقضى بين الناس**). قال يزيد: فكان أبو مَرْثد لا يخطئه يومٌ إلا تصدق فيه بشيء، ولو كعكة أو بصلة. [رواه أحمد، وابن خزيمة وابن حبان. (صحيح الترغيب: ٨٧٢)].

وعنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**إن الصدقةَ لتطفئ عن أهلها حرَّ القبورِ، وإنما يستظِلُّ المؤمنُ يومَ القيامةِ في ظل صدقته**). [رواه الطبراني في "الكبير"، والبيهقي. (صحيح

الترغيب: ٨٧٣)].

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله وأي الأعمال أحب إلى الله فقال رسول الله ﷺ: **(أحب الناس إلى الله -عز وجل- أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينًا أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً(في مسجد المدينة) ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غضبه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رخاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام).** [رواه الطبراني في "معاجمه الثلاثة" وابن أبي الدنيا في

قضاء الحوائج، (حسن: السلسلة الصحيحة: ٩٠٦، صحيح الترغيب: ٢٦٢٣)].

عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفئ غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر**». [رواه الطبراني في الكبير، (صحيح الترغيب ٨٨٩) ، (صحيح الجامع ٣٧٩٧)].

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «**صَنائِعُ المَعْرُوفُ تَقِي مَصارِعَ السُّوءِ والآفاتِ والهلكاتِ، وأهلُ المعروفِ في الدنيا هُمْ أهلُ المعروفِ في الآخرةِ**».

[أخرجه الحاكم، والبيهقي في شعب الإيمان، (صحيح الجامع ٣٧٩٥)].

عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: «**صَنائِعُ**

المعروفِ تَقِي مَصارعَ السُّوءِ، والصَّدقةُ خُفيًا تُطفِئُ غضَبَ الرَّبِّ، وصِلةُ الرَّحِمِ زيادةٌ في العُمُرِ، وكلُّ مَعروفٍ صَدَقةٌ، وأهلُ المعروفِ في الدُّنيا هُمْ أهلُ المعروفِ في الآخِرَةِ، وأهْلُ المُنكَرِ في الدُّنيا هُمْ أهلُ المُنكَرِ في الآخِرَةِ ... ». [رواه الطبراني في الأوسط، (صحيح الترغيب ٨٩٠)، (صحيح الجامع ٣٧٩٦)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(صدقة السر تطفىء غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر وفعل المعروف يقي مصارع السوء)**. [أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب قضاء الحوائج والبيهقي في الشعب والأصبهاني (حسن: صحيح الجامع: ٣٧٩٧)].

ومن صناعة المعروف أيضًا ما ذكر عن علي زين

العابدين، فقد كان أناس من أهل المدينة، لا يدرون من أين معايشهم، فلما مات فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل، ولما غسلوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجدوا بظهره أثراً مما كان ينقله بالليل إلى بيوت الأرامل. [سير أعلام النبلاء: ٤ / ٣٩٣].

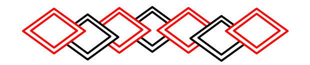
وهذا عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ينفق من ماله على الفقهاء، وكان من أراد الحج من أهل مرو إنما يحج من نفقة ابن المبارك، كما كان يؤدي عن المديون دينه ويشترط على الدائن أن لا يخبر مدينه باسمه. [سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٨٦)].

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... فالمحسن المتصدق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فإنه

يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر والله المستعان". [بدائع الفوائد: (٢/ ٤٦٧)].

قال الإمام العلامة ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفي الجملة فخير الناس أنفعهم للناس، وأصبرهم على أذى الناس !! كما وصف الله المتقين بذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾. [لطائف المعارف: ٢٣١].

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أقضي لمسلم حاجة أحب إليَّ من أن أصلي ألف ركعة. [قضاء الحوائج: ٤٨].



الأكثرون أموالاً هم الأقلون ثواباً يوم القيامة إلا من كان كثير الإنفاق والصدقة في وجوه الخير... وقليل ما هم

قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة فاستقبلنا أحد فقال: **يا أبا ذر** قلت لبيك يا رسول الله قال: **ما يسرني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار إلا شيئا أرصده لدين إلا أن أقول به في عباد الله هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه** ثم مشى فقال: **إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم...**). [صحيح البخاري/ فتح الباري:

(١١/ ٣١٨)].

قال الإمام النَّووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فيه الحثُّ على الصَّدقة في وجوه الخير وأنه لا يقتصر على نوع من وجوه البر بل ينفق في كل وجه من وجوه الخير يحضر). [شرح مسلم: ٧/ ٧٣].

قال العلامة المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فقوله: **(قال هكذا)** إلخ، كناية عن التَّصدُّق العام في جميع جهات الخير". [مرقاة المفاتيح: (٢/ ٩٢)].

قوله ﷺ: **(إلا أن أقول به في عباد الله)**.

قال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... فيؤخذ منه أن نفي محبة المال مقيدة بعدم الإنفاق فيلزم محبة وجوده مع الإنفاق فما دام الإنفاق مستمرا لا يكره وجود المال وإذا انتفى الإنفاق ثبتت كراهية وجود المال ولا يلزم من ذلك كراهية حصول شيء آخر ولو كان قدر أحد أو أكثر مع

استمرار الإنفاق...".

قال ﷺ: **(ألا إن الأكثرين هم المقلون يوم القيامة)**.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والمراد الإكثار من المال والإقلال من ثواب الآخرة وهذا في حق من كان مكثرا ولم يتصف بما دل عليه الاستثناء بعده من الإنفاق". [فتح الباري: (١١/ ٣٢٠)].

قال العلامة الإمام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

- أي حكم في الإسلام لا يجوز أن يؤخذ من نص واحد، إلا من مجموعة نصوص، هذا الحديث بلا شك فيه حث بالغ جداً على الإنفاق، والتحذير من الادخار، ولكن الحكم الدقيق والحكم الفقهي لا يؤخذ من هذا الحديث وحده...

▪ ليس من الواجب أن يخرج المسلم ماله كله وألا يبيت وعنده أي مال، لكن هذا من فضائل الأعمال، ومن مكارم الأخلاق؛ أن المسلم إذا أغناه الله من فضله أن ينفقه....

▪ خلاصة القول: المال الواجب إخراجه ليس هو كل مال، وإنما هي نسبة معروفة في كتب الفقه وبإجماع المسلمين، أما الخروج عن كل ذلك أو نصف المال، فهذه أمور من فضائل ومكارم الأخلاق، والناس يختلفون في ذلك أشد الاختلاف...

▪ البخل بخلان: بخل يعذب عليه الإنسان وهو إذا بخل بما فرض الله عليه، والبخل الآخر يذم عليه، ولكن لا يعاقب عليه، وهو الذي لا ينفق يميناً ولا يساراً ولا أمامه

ولا خلفه. [دروس للشيخ الألباني: (٦/ ١١) (الشاملة)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وإنما يفضل الغنى لأجل الإحسان إلى الخلق والإنفاق في سبيل الله والاستعانة به على طاعة الله وعبادته وإلا فذات ملك المال لا ينفع بل قد يضر...". [مجموع الفتاوى: (١١/ ١٣١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما نفس وجود السلطان والمال الذي يبتغى به وجه الله والقيام بالحق والدار الآخرة ويستعان به على طاعة الله ولا يفتر القلب عن محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله كما كان النبي ﷺ وأبو بكر وعمر ولا يصده عن ذكر الله، فهذا من أكبر نعم الله تعالى على عبده إذا كان كذلك. ولكن قل أن تجد ذا سلطان أو مال إلا وهو مبطئ مثبط عن طاعة الله ومحبته

متبع هواه فيما آتاه الله..". [مجموع الفتاوى: (٢٠/ ٨٠)].

من وفقه الله تعالى فكسب المال من حله، وأنفقه في محله، واجتهد في بذله في الطاعات والقربات، كان المال في حقة نعمة، واستحق أن يغبطه الناس عليها، كما قال النبي ﷺ: **(نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ)** [رواه أحمد: (١٧٠٩٦)، وصححه الألباني في "صحيح الأدب المفرد": (٢٩٩)].

وقال ﷺ: **(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا)**. [رواه البخاري: (٧٣)، ومسلم: (٨١٦)].

عَنْ عَبْدِ الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى**

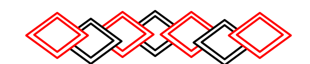
هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، ورجل آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا). [رواه البخاري ومسلم].

في هذا الحديث دليل على أن ذلك مما لا ينبغي أن تطمح إليه النفوس وتتطلع إليه أن يؤتى الإنسان كثيراً من عرض الدنيا، إنما الشيء الذي ينبغي أن يُغبط عليه الإنسان هو ذلك الذي أوتي الدنيا أوتي المال فسلطه على هلكته في الحق، يعني: في وجوه البر والمعروف والإنفاق في سبيل الله -تبارك وتعالى-..

قال الإمام بدر الدين العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله: (**فسلط على هلكته**)، في هذه العبارة مبالغتان؛ إحداهما التسليط فإنه يدل على الغلبة وقهر النفس المجبولة على الشح البالغ، والأخرى لفظ (**على هلكته**) فإنه يدل على أنه لا يبقي من

المال شيئا، ولما أوهم اللفظان التبذير وهو صرف المال فيما لا ينبغي ذكر قوله (**في الحق**) دفعا لذلك الوهم..".

[عمدة القاري: (١/ ٥٨)].



هدي الأسوة والقدوة نبينا ﷺ في قضاء حوائج المسلمين

كان من هديه ﷺ مع أصحابه من حسن الخُلق ما لا يخفي، ومن ذلك أنه كان يسأل عنهم، ويتواضع معهم، ويزور مرضاهم، ويشهد جنائزهم، ويشفق عليهم، ويشعر بآلامهم، ويسعى في تفريج همومهم وقضاء حوائجهم، فكان يقوم على حاجة أصحابه عامة، وعلى حاجة الأرامل والمساكين واليتامى خاصة، فلا يأنَفُ أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي حاجتهم.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه في وصفه للنبي ﷺ قال:

(ولا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة). [رواه النسائي (صحيح النسائي: ١٤١٣)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **(كانت الأَمَة من إماء أهل المدينة لَتأخذ بيد رسول الله فتنطَلِق به حيث شاءت)**. [رواه البخاري].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: **(أنَّ امرأةً كان في عقلها شيء، فقالت: يا رسول الله، إنِّي لي إليك حاجة، فقال: يا أمَّ فلان، انظُرِي أي السكك شئتِ حتى أقضي لك حاجتك، فخلاَ معها في بعض الطُّرُق حتى فرغت من حاجتها)**. [رواه مسلم].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "**(خلا معها في بعض الطرق)** أي وقف معها في طريق مسلوك ليقضي حاجتها ويفتيها في الخلوة، ولم يكن ذلك من الخلوة بالأجنبية، فإن هذا كان

في ممر الناس ومشاهدتهم إياه وإياها، لكن لا يسمعون كلامها، لأن مسألتها مما لا يظهره - والله أعلم -".

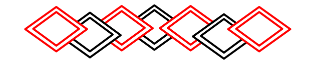
عن حُصَين بن مِحصَن ﵁ قال: حدثتني عمَّتي، قالت: "أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة، (وفي رواية: فلمَّا قَضَتْ حاجتها)، فقال: (**أي هذه! أذات بعل؟**)، قلت: نعم، قال: (**كيف أنت له؟**)، قالت: ما آلوه إلا ما عجَزت عنه، قال ﷺ: (**فانظري أين أنت منه، فإنما هو جنتك ونارك**). [رواه أحمد والبيهقي (صحيح الجامع: (١٥٠٩)].

والشاهد أن هذه المرأة أَتَتْ رسولَ الله ﷺ تَطلُب حاجة فقضاها لها.

قال الإمام العلاّمة الربّاني ابن القيِّم ﵀: "كان ﷺ أعظم الناس صدَقةً بما ملَكَتْ يده، وكان لا يستكثِر شيئًا

أعطاه لله - تعالى- ولا يستقلُّه، ولا يَسأَله أحدٌ شيئًا عندَه إلا أعطاه، قليلاً كان أو كثيرًا، وكان عَطاؤه عطاءَ مَن لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سروره وفرحه بما يُعطِيه أعظمَ من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينه كالرِّيح المرسلة، وكان إذا اعتَرض له محتاجٌ آثَره على نفسه، تارةً بطعامه، وتارةً بلباسه، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهديَّة، وتارةً بشِراء الشيء، ثم يُعطِي البائع الثمن والسِّلعة جميعًا، كما فعَل بجابر، وتارةً كان يقتَرِض الشيءَ فيرد أكثر منه وأفضل وأكبر، ويشتَرِي فيعطي أكثر من ثمنه ويَقبَل الهديَّة ويُكافِئ عليها بأكثر منها أو بأَضعافِها، تلطُّفًا وتنوُّعًا في ضروب الصدقة والإحسان بكلِّ مُمكِن، وكانت صدقته وإحسانه بما يَملِكه

وبحاله وبقوله، فيُخرِج ما عنده ويَأمُر بالصدقة، ويَحُضُّ عليها، ويدعو إليها بحاله وقوله، فإذا رآه البَخِيل الشَّحِيح دَعاه حالُه إلى البذل والعَطاء، وكان مَن خالَطَه وصَحِبَه ورأى هديَه لا يملك نفسَه من السماحة والنَّدَى.. وكان هديه ﷺ يدعو إلى الإحسان والصدقة والمعروف، ولذلك كان ﷺ أشرح الخلق صدرا، وأطيبهم نفسا، وأنعمهم قلبا، فإن للصدقة وفعل المعروف تأثيرا عجيبا في شرح الصدر". [زاد المعاد: (٢/ ٢١)].



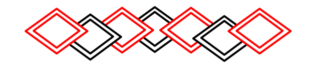
الأسوة والقدوة ﷺ يصلي جالسا من شدة حرصه وتحمّله لأمور وأثقال الناس واعتنائه بمصالحهم

كان ﷺ يصلي بعض نوافله وهو جالس؛ لأن جسده الشريف لا يقوى على حمله، والسبب ليس المرض أو غيره؛ وإنما هموم الناس، حمَّلوه من أثقالهم فصيَّروه شيخًا محطومًا، فصلوات ربي وسلامه عليه، كم أُتعب وأثقل بهموم أمته وأعبائها!.

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عَبْدِاللهِ بنِ شَقِيقٍ، قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: هَلْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي وَهُوَ قَاعِدٌ؟ قَالَتْ: "نَعَمْ، بَعْدَمَا حَطَمَهُ النَّاسُ". [صحيح مسلم].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: "يُقَالُ حَطَمَ فُلَانًا أَهْلُهُ، إِذَا كَبُرَ فِيهِمْ، كَأَنَّهُ لَمَّا حَمَلَهُ مِنْ أُمُورِهِمْ وَأَثْقَالِهِمْ وَالِاعْتِنَاءِ بِمَصَالِحِهِمْ، صَيَّرُوهُ شَيْخًا مَحْطُومًا". [شرح النووي على مسلم: (٦/ ١٣)].

قال العلامة السندي رَحِمَهُ اللَّهُ:"قولها: بعدما حطمه الناس؛ أي: كسروه وأثقلوا عليه، أي: بعد أن كبر وضعف، فكأنهم كسروه".[حاشية السندي على سنن النسائي: (٣/ ٢٢٣)].



قضاءُ حوائجِ المسلمين أهمّ من الاعتكافِ

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (...**ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد - مسجد المدينة - شهرا... من أعان أخاه المسلم على حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدميه يوم تزول الأقدام**). [سلسلة الأحاديث الصحيحة: (٩٠٦) صحيح الترغيب والترهيب: (٢٦٢٣)].

قال العلامة الإمام الفقيه ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "قضاء حوائج المسلمين أهم من الاعتكاف، لأن نفعها متعد، والنفع المتعدي أفضل من النفع القاصر، إلا إذا كان النفع القاصر من مهمات الإسلام وواجباته". [مجموع فتاوي ابن عثيمين: (٢٠/١٢٦)].

لهذا الحد يصل ويبلغ فضل وثواب وأهمية قضاء حوائج المسلمين، أن يُقدّم على عبادة عظيمة كالاعتكاف، والذي يصفه العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى، وجمعيَّتُه عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره، وحبه، والإقبال عليه، في محلِّ هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصيرُ الهمُّ كلُّه به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه، وما يقرِّب منه، فيصير أُنسه بالله بدلاً من أُنْسِهِ بالخلق، فيَعِده بذلك لأُنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم". [زاد المعاد: (٢/ ٨٧)].

المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً

قال النَّبيُّ ﷺ: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا**). [رواه البخاري].

قال العلامة ابن بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أمور الدُّنْيا والآخرة مندوبٌ إليه بهذا الحديث". [شرح صحيح البخاري: (٩/ ٢٢٧)].

وقال العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ظاهره الإخبار، ومعناه الأمر، وهو تحريضٌ على التَّعاون". [كشف المشكل من حديث الصحيحين: (١/ ٤٠٥)].

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (**مَن نفَّس عن مؤمن كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيا نفَّس الله عنه كُرْبَةً مِن كُرَبِ**

يوم القيامة، ومَن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدُّنْيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدُّنْيا والآخرة. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه...). [رواه مسلم].

قال العلامة ابن دقيق العيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا الحديث عظيم جامع لأنواعٍ مِن العلوم والقواعد والآداب، فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسَّر مِن عِلْم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك". [شرح الأربعين النووية: (١/ ١١٩)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "في الحديث حضٌّ على التَّعاون وحسن التَّعاشر والألفة". [فتح الباري: (٥/ ٩٧)].

قال الإمام النَّووي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعليقه على حديث: **(مثل المؤمنين في توادهم...)**: "صريحٌ في تعظيم حقوق

المسلمين بعضهم بعضًا، وحثِّهم على التَّراحم والملاطفة والتَّعاضد في غير إثمٍ ولا مكروهٍ". [شرح مسلم: (٨/ ٣٩٥)].

قال رسول الله ﷺ: **(مَن جهَّز غازيًا في سبيل الله فقد غزا، ومَن خلَّف غازيًا في أهله بخيرٍ فقد غزا)**. [رواه البخاري ومسلم واللفظ له].

قال العلامة ابن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال الطَّبري: وفيه مِن الفقه أنَّ كلَّ مَن أعان مؤمنًا على عمل برٍّ فللمُعِين عليه أجر مثل العامل، وإذا أخبر الرَّسول أنَّ مَن جهَّز غازيًا فقد غزا، فكذلك مَن فطَّر صائمًا أو قوَّاه على صومه، وكذلك مَن أعان حاجًّا أو معتمرًا بما يتقوى به على حجِّه أو عمرته حتى يأتي ذلك على تمامه فله مثل أجره. ومَن أعان فإنَّما يجيء مِن حقوق الله بنفسه أو بماله... ثمَّ كذلك سائر أعمال البرِّ،...". [عمدة القاري: (١٢/ ٢٨٩)].

سبق درهم مائة ألف درهم

قال رسول الله ﷺ: (**سبق درهم مائة ألف درهم**. قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال: **كان لرجل درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به فانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف فتصدق به**). [رواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان. "صحيح الترغيب: (٨٨٣)"].

قال ﷺ: (**أفضل الصدقة جهد المقل و ابدأ بمن تعول**). [رواه أحمد وأبو داود (سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٢/ ١٠٥)].

قال العلامة الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "...عن الحسن قال:

قال رجل لعثمان بن عفان رضي الله عنه ذهبتم يا أصحاب الأموال بالخير تتصدقون وتعتقون وتحجون وتنفقون فقال عثمان: وإنكم لتغبطوننا وإنا لنغبطكم قال: فو الله لدرهم ينفقه أحد من جهد خير من عشرة آلاف درهم غيض من فيض". [عدة الصابرين: (١٤٨)].

قال العلامة الرباني ابن القيم رحمه الله: "...وهذه الأحاديث كلها تدل على أن صدقة جهد المقل أفضل من صدقة كثير المال ببعض ماله الذي لا يتبين أثر نقصانه عليه وان كان كثيرا لأن الأعمال تتفاضل عند الله بتفاضل ما في القلوب لا بكثرتها وصورها بل بقوة الداعي وصدق الفاعل وإخلاصه وإيثاره الله على نفسه فأين صدقة من آثر الله على نفسه برغيف هو قوته إلى صدقة من أخرج مائة ألف درهم من

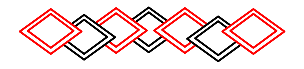
بعض ماله غيضا من فيض فرغيف هذا درهمه في الميزان أثقل من مائة ألف هذا والله المستعان". [عدة الصابرين: (١٤٩)].

قال العلامة الفقيه ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:"وقوله: "جهد المقل" يعني: طاقة المقل كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩].

فـ"الجُهد" معناه: الطاقة، وأما "الجَهد"-بالفتح-: فهو بمعنى المشقة، ومنه حديث الوحي: "غطني- يعني: جبريل- **حتى بلغ مني الجهد**" أي: المشقة، فالجهد بمعنى: الطاقة، و"المقل" الذي ليس عنده إلا مال قليل، ولكن الرسول ﷺ أرشد إلى أن صدقتك على أهلك صدقة: ولهذا قال: "**ابدأ بمن تعول**"، فإن إنفاقك على من

تعول صدقة فإذا بدأت بمن تعول، وزاد على من تعول دخل في الحديث السابق: "**خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى**"، وبهذا يمكن الجمع بينه وبين الحديث السابق؛ لأن الحديث السابق يدل على أن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وهنا يدل على أن أفضل الصدقة ما كان جهد مقل.

فنقول: إذا بدأت بمن تعول صار الزائد- وإن كان من جهد المقل- عن ظهر غنى، وحينئذ لا يكون بينه وبين الأول منافاة، إذن الصدقة خيرها مما كان عن ظهر غنى مطلقا، ثم إن كان هذا المتصدق غنيًّا واسع الغنى، فإن الصدقة ممن دونه أفضل، لأنها جهده". [فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: (٣/ ١٠٩)].



ما استُجلِبَت نِعَم الله واستُدفِعَت نقمته بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم - على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها- على أن التقرب إلى رب العالمين، وطلب مرضاته، والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير، وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر، فما استجلبت نعم الله، واستدفعت نقمته، بمثل طاعته، والتقرب إليه، والإحسان إلى خلقه. [الداء والدواء: (ص: ١٢)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد رتب الله سبحانه حصول الخيرات في الدنيا والآخرة، وحصول السرور في الدنيا والآخرة في كتابه على الأعمال، ترتب الجزاء على الشرط، والمعلول على العلة، والمسبب على السبب، وهذا في القرآن يزيد على ألف موضع". [الداء والدواء: (ص:١٢)].

قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أَنْفَع النَّاس لَك**: رجل مكّنك من نَفسه حَتَّى تزرع فِيهِ خيرًا، أَو تصنع إِلَيْهِ مَعْرُوفًا؛ فَإِنَّهُ نعم العون لَك على منفعتك وكمالك؛ فانتفاعك بِهِ فِي الْحَقِيقَة مثل انتفاعه بك أَو أَكثر. **وأضر النَّاس عَلَيْك**: من مكّن نَفسه مِنْك حَتَّى تَعْصِي الله فِيهِ؛ فَإِنَّهُ عون لَك على مضرّتك ونقصك". [الفوائد: (ص: ١٩٢)].

يقينٌ عزيز في التعامل مع الله في معاملة عباد الله

قال رسول الله ﷺ: (... واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه). [صحيح مسلم].

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رحمه الله: "كان شيخ الإسلام ابن تيمية يسعى في حوائج الناس سعياً شديداً. لأنه يعلم أنه كلما أعان غيره أعانه الله". [روضة المحبين: (١/١٦٨)].

قال الإمام الحافظ الذهبي رحمه الله عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وله محبون من العلماء، والصلحاء، ومن الجند، والأمراء، ومن التجار والكبراء وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلًا ونهارًا، بلسانه وقلمه". [الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية: (ص:٦٧٢)].

عظيم فضل القرض

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**كلُّ قرض صدقة**). [رواه الطبراني والبيهقي. (صحيح الترغيب: ٨٩٩)].

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**دخل رجل الجنة، فرأى مكتوبًا على بابها: الصدقةُ بعشرِ أمثالها، والقرضُ بثمانية عشر**). [رواه الطبراني والبيهقي. (صحيح الترغيب: ٩٠٠)، (السلسلة الصحيحة: ٣٤٠٧)].

قال العلاّمة الفقيه ابن عثيمين رحمه الله: "وربما يكون القرض أحيانًا أكثر ثوابًا من الصدقة؛ لأنه لا يستقرض إلا

محتاج في الغالب، والصدقة أفضل من جهة أنها لا تشغل الذمة، فإذا أعطيته لم يكن في ذمته شيء". [الشرح الممتع: (٩/ ٩٤)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**يَنْزِلُ اللهُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا لِشَطْرِ اللَّيْلِ - أَوْ لِثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ - فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، أَوْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، ثَمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلاَ ظَلُومٍ**). [صحيح مسلم: (٧٥٨)].

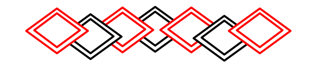
غير عدوم: وفي رواية عديم، أي: غير فقير.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: (**إِنَّ مَلَكاً بِبَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضِ الْيَومَ يُجْزَ غَداً، وَمَلَكٌ بِبَابٍ آخَرَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقاً خَلَفاً وَأَعْطِ**

مُمْسِكًا تَلَفًا). [صحيح: ابن حبان: (٣٣٢٣) تعليق العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ].

وإن كان في هذين الحديثين فضل الصدقة والإنفاق عموما، بل عموم الطاعات كما ذكر الإمام العلاّمة النووي، حيث قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله سبحانه وتعالى: **(من يقرض غير عديم ولا ظلوم)**. وفي الرواية الأخرى: **(غير عدوم)** هكذا هو في الأصول. في الرواية الأولى: **(عديم)**، والثانية: **(عدوم)**. وقال أهل اللغة: يقال أعدم الرجل إذا افتقر فهو معدم وعديم وعدوم، والمراد بالقرض - والله أعلم - عمل الطاعة سواء فيه الصدقة والصلاة والصوم والذكر وغيرها من الطاعات، وسماه سبحانه وتعالى قرضا ملاطفة للعباد وتحريضا لهم على المبادرة إلى الطاعة، فإن

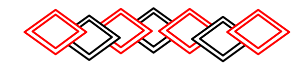
القرض إنما يكون ممن يعرفه المقترض وبينه وبينه مؤانسة ومحبة، فحين يتعرض للقرض يبادر المطلوب منه بإجابته لفرحه بتأهيله للاقتراض منه وإدلاله عليه وذكره له وبالله التوفيق. [شرح صحيح مسلم: (٣/ ٢٥٠)].



القرض قد يكون واجباً

قال الإمام العلاّمة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ويجب القرض أحيانًا فيما إذا كان المقترض مضطراً، لا تندفع ضرورته إلا بالقرض. ولكن لا يجب إلا على من كان قادراً عليه، من غير ضرر عليه في مؤونته ولا مؤونة عياله.

كما أنه يكون أحيانًا حرامًا، إذا كان المقترض اقترض لعمل محرم، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢]. ولكنه من حيث الأصل هو بالنسبة للمقرض مندوب؛ لأنه من الإحسان". [الشرح الممتع: (٩/ ٩٤)].



عظيم فضل إنظار المعسر والتجاوز عنه

المعسر هو: المحتاج وقليل المال والعاجز عن أداء دينه.

أنْظرهُ: أخّره وأمهله.

أمر الله تعالى بإنظار المعسر حيث لم يجد وفاء فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ثم ندب إلى الوضع عنه والتصدق عليه به أو ببعضه فقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨٠].

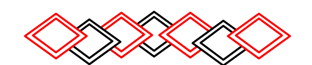
عن أبي اليسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: (**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللهُ فِي ظِلِّهِ**). [صحيح مسلم].

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: (**كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ لَعَلَّ اللهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ**). [رواه البخاري ومسلم].

عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (**تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لاَ، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَجَوَّزُوا عَنْهُ**). [رواه البخاري ومسلم].

عَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ**) قَالَ ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: (**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ**) قُلْتُ: سَمِعْتُكَ

يَا رَسُولَ اللهِ تَقُولُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلِهِ صَدَقَةٌ، ثُمَّ سَمِعْتُكَ تَقُولُ مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ؟ قَالَ: (**لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ الدَّيْنُ، فَإِذَا حَلَّ الدَّيْنُ فَأَنْظَرَهُ فَلَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ مِثْلَيْهِ صَدَقَةٌ**). [رواه الإمام أحمد. (السلسلة الصحيحة: (٨٦)، والصحيح المسند: (١٧٢)].



وجوب إنظار المعسر

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾

أمر اللّه عزّ وجلّ بإنظار المعسر حيث لم يجد وفاء وسداد دينه فقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة:٢٨٠].

ثم ندب إلى الوضع عنه والتصدق عليه به أو ببعضه فقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البقرة: ٢٨٠].

فإنظار المعسر والصبر عليه واجب بهذه الآية وبما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أصيب رجل في عهد رسول اللّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثمار ابتاعها فكثر دينه، فقال النبي

ﷺ: (**تصدقوا عليه**، فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه، فقال النبي لغرمائه: **خذوا ما وجدتم وليس لكم إلا ذلك**).

﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾.

قال الإمام المفسّر الكبير ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يأمر الله تعالى بالصبر على المعسر الذي لا يجد وفاء، فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي لا كما كان أهل الجاهلية يقول أحدهم لمدينه إذا حلَّ عليه الدين: إما أن تقضي وإما أن تربي...

قال العلاّمة الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَإِن كَانَ﴾ المدين ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ لا يجد وفاء ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به".

قال الإمام العلاّمة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن فوائد الآية: وجوب إنظار المعسر – أي: إمهاله حتى يوسر، لقول الله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ﴾ فلا تجوز مطالبته بالدين، ولا طلب الدين منه". [تفسير سورة البقرة: (٣ / ٣٩١)].

ووجوب إنظار المعسر هو مذهب أغلب الفقهاء[١].- ومنهم الأئمة الأربعة[٢].- مستدلين بعموم قوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٨٠﴾.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٣٧٢).

(٢) بدائع الصنائع للكاساني: (٧/ ١٧٣)، المدونة: (٤/ ٥٩)، الأم للشافعي: (٣/ ٢٠٦)، الكافي في فقه الإمام أحمد (٢/ ٩٥). حكم غرامة التأخير: لحذيفة خضر غنيمات...

المبعوث رحمة للعالمين ﷺ يحثّ ويحضّ على نفع الناس وقضاء حوائجهم

* اشفعوا تؤجروا *

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاءه السائل أو طُلبت إليه حاجة، قال: **(اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه ﷺ ما شاء)**. [البخاري، حديث رقم: (١٤٣٢)، ومسلم، حديث رقم: (٢٦٢٧)].

معنى الشفاعة: الشفاعة: التوسط للغير بجلب منفعة مشروعة له، أو دفع مضرة عنه. [العقيدة الصافية؛ للسيد عبد الغني: (ص: ١٨٤)].

قال الطيبي رحمه الله: قال النبي ﷺ: **(إذا عرض المحتاج**

حاجته عليّ، فاشفعوا له إليّ؛ فإنكم إن شفعتم حصَل لكم الأجر؛ سواء قبِلت شفاعتكم أم لا، ويجري الله على لسان نبيه ما شاء من موجبات قضاء الحاجة أو عدمها، فإن قضيتها أو لم أقضِها، فهو بتقدير الله تعالى وقضائه). [فتح الباري؛ لابن حجر العسقلاني، (ج/ ١٠، ص: ٤٥١)].

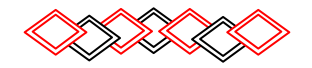
قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الحديث فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة؛ سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووالٍ ونحوهما، أم إلى واحد من الناس، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلمٍ أو إسقاط تعزير، أو في تخليص عطاء لمحتاج أو نحو ذلك، وأما الشفاعة في الحدود فحرام، وكذا الشفاعة في تتميم باطل أو إبطال حق ونحو ذلك، فهي حرام. [مسلم بشرح النووي: (ج/ ١٦، ص: ١٧٧)].

كل معروف صدقة

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: **(كل معروف صدقة)**. [رواه البخاري ومسلم].

قوله: **(كل معروف)**؛ أي: ما عُرِف من جملة الخيرات من عطية مال أو خلق حسنٍ، أو ما عُرِف فيه رضا الله من الأقوال والأفعال.

قوله: **(صدقة)**؛ أي: ثوابه كثواب الصدقة. [مرقاة المفاتيح؛ لعلي الهروي:(ج/ ٤، ص: ١٣٣٦)].



اصطفاء الله للذين يقضون حوائج الناس

عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: **(إن لله عبادًا اختصَّهم بالنعم لمنافع العباد، يُقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منَعوها نزعها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم)**. [رواه الطبراني: حسن: (صحيح الجامع للألباني، حديث رقم: ٢١٦٤)].

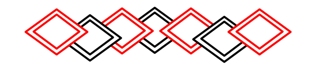
قوله: (**لمنافع العباد**)؛ أي: لأجل منافع الناس.

قوله: (**يقرهم فيها ما بذلوها**)؛ أي: مدة دوام إعطائهم منها للمستحق.

قوله: (**نزعها منهم**)؛ أي: نزَع منهم النعمة لمنعهم الإعطاء للمستحِق.

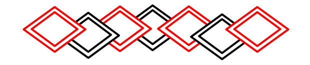
قوله: (**فحوَّلها إلى غيرهم**)؛ أي: حوَّل الله تعالى النعم إلى غيرهم؛ ليقوموا بها كما يجب. [فيض القدير؛ لعبد الرؤوف المناوي: (ج٢/ ، ص: ٤٧٨)].

قال الإمام عبد الرؤوف المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "العاقل الحازم مَن يستديم النعمة، ويداوم على الشكر و الإفضال منها على عباد الله تعالى، واكتساب ما يفوز به في الآخرة؛ قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ [القصص: ٧٧]. [فيض القدير: (ج٢/ ص: ٤٧٨)].



الله تعالى يحب الذين يقضون حوائج الناس

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (**أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس**). [رواه ابن أبي الدنيا والطبراني: حسن: (صحيح الجامع: رقم: ١٧٦)].



الله في عون الذين يقضون حوائج الناس

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(مَن نفَّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه).** [صحيح مسلم].

قوله: **(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه):** فيه تنبيه على فضيلة عون الأخ على أموره، وإشارة إلى أن المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية؛ سواء كان بقلبه

أو بدنه، أو بهما لدفع المضار، أو جذب المنافع؛ إذ الكل عون. [مرقاة المفاتيح لعلي الهروي: (ج:٧/ ص: ٣١٠٤)].

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **(المسلم أخو المسلم، لا يَظلمه ولا يُسلمه، ومَن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته)**. [رواه البخاري ومسلم].

قوله: (**ولا يسلمه**)؛ أي: لا يَخذله، ولا يتركه مع مَن يؤذيه، ولا فيما يؤذيه، بل ينصره ويدفع عنه. [فتح الباري: (ج:٥/ ص: ٩٧)].

قوله: (**كان في حاجة أخيه**)؛ أي: سعى في قضاء حاجة أخيه.

قوله: (**كان الله في حاجته**)؛ أي: أعانه الله تعالى وسهَّل له قضاء حاجته. [فتح الباري: (ج: ٥/ ص: ٩٧)].

قضاء حوائج الناس من أبواب التعاون على الخير

يعتبر التعاون على الخير بين أفرد المجتمع ضرورة إنسانية واجتماعية، لا يستطيع الناس الاستغناء عنها؛ قال سبحانه ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢﴾ [المائدة: ٢].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فِعل الخيرات وهو البر، وترك المنكرات وهو التقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم والمحارم". [تفسير ابن كثير: (ج: ٥/ ص: ١٨)].

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما نحن في سفر مع

النبي ﷺ، إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يَصرِف بصرَه يمينًا وشمالًا، فقال رسول الله ﷺ: (**مَن كان معه فضلُ ظهرٍ، فليَعُد به على مَن لا ظهر** -(أي دابة) - **له، ومن كان له فضل من زاد، فليَعُد به على مَن لا زاد له**).[صحيح مسلم].

قوله: (**يصرف بصره يمينًا وشمالًا**)؛ أي: متعرضًا لشيء يدفع به حاجته.

قوله: (**من كان معه فضل ظهر**)؛ أي: زيادة ما يركب على ظهره من الدواب.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "في هذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة، والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب". [مسلم بشرح النووي: (ج: ٦/ ص: ٢٧٥)].

قضاء حوائج الناس من وسائل وَحدة المجتمع

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه**).

[رواه البخاري ومسلم].

قوله: (**كالبنيان**)؛ أي: البيت المبني.

قوله: (**يشد بعضه**)؛ أي: بعض البنيان يقوِّي بعضه.

قال الإمام علي الهروي رَحِمَهُ اللَّهُ: "هذا الحديث معناه أن المؤمن لا يتقوى في أمر دينه أو دنياه إلا بمعونة أخيه، كما أن بعض البناء يقوِّي بعضه". [مرقاة المفاتيح؛ لعلي الهروي: (ج: ٧/ ص: ٣١٠٢)].

التحذير من عدم قضاء حوائج الناس مع الاستطاعة

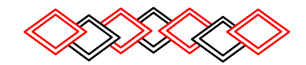
عن عمرو بن مرة الجهني ﵁ أنه قال لمعاوية بن أبي سفيان ﵄: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخَلَّة والمسكنة، إلا أغلق الله أبواب السماء دون خَلَّته وحاجته ومسكنته.)**، فجعل معاوية رجلًا على حوائج الناس. [رواه الترمذي: صحيح: (صحيح الترمذي: ١٠٧١)].

قوله: **(يغلق بابه دون ذوي الحاجة)**؛ أي: يحتجب ويمتنع من الخروج عند احتياجهم إليه.

قوله: **(الخَلة)**؛ أي: الفقر.

قوله: **(إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته)**؛ أي: أبعَده ومنعه عما يبتغيه من الأمور الدينية أو الدنيوية، فلا يجد سبيلًا إلى حاجة من حاجاته الضرورية. [تحفة الأحوذي للمباركفوري: (ج:٤ / ص: ٤٦٨)].

https://www.alukah.net/sharia//117869/0.

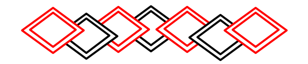


حاجة الناس إليكم من نعم الله عليكم

قال الإمام المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال الفضيل: أما علمتم أن حاجة الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاحذروا أن تملوا وتضجروا من حوائج الناس فتصير النعم نقما، وأخرج البيهقي عن ابن الحنفية أنه كان يقول: أيها الناس اعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملوها فتتحول نقما، واعلموا أن أفضل المال ما أفاد ذخرا وأورث ذكرا وأوجب أجرا ولو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنا جميلا يسر الناظرين ويفوق العالمين (فمن لم يحتمل تلك المؤنة للناس فقد عرض تلك النعمة للزوال) لأن النعمة

إذا لم تشكر زالت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ﴾ وقال حكيم: النعم وحشية فقيدوها بالشكر

وأخرج البيهقي عن بشير قال: ما بال أحدكم إذا وقع أخوه في أمر لا يقوم قبل أن يقول: قم؟ من لم يكن معك فهو عليك". [فيض القدير: (٥/ ٤٥٦)]



أين نحن من هؤلاء

تمتع أخي الكريم وعش بأخلاق السلف ودونك هذه المقتطفات من سيرة القوم..

أولئـــــك آبـــائي فجئنـــــي بمـــــثلهم

إذا جمعتنـــا يـــا جريـــر المجـــامع

علم ذلك الحسن بن سهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين أتاه رجل يستشفع به في حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن: علام تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاة كما أن للمال زكاة؟". وأنشأ يقول:

فُرضـــت علـــي زكـــاة مـــا ملكـــت يـــدي

وزكـــاة جـــاهي أن أعـــين وأشـــفعا

فـــإذا ملكـــت فجُـــدْ فـــإن لـــم تســـتطع

فاجهـــد بوســـعك كلـــه أن تنفعـــا

وفي الأمثال ذكرى وعبرة.. ولمن طالع شيئا من قصص السلف وقفة ورجعة!

ومن بديعها ما جاء في "عيون الأخبار" أن رجلا قال للعباس بن محمد: "إني أتيتك في حاجة صغيرة، قال: اطلب لها رجلاً صغيراً "!.

وقيل لرجل: لنا حويجة، فقال: "اطلبوا لها رويجلا".

علق الناقل قائلاً: فهم لا يكفيهم سخاء نفوسهم، ولا مسارعتهم إلى غوث اللهفان؛ حتى يضيفوا إليه: تصغير المعروف وتقليله! فأي أثر يقع في نفس الطالب الذي

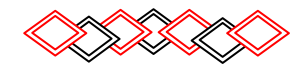
تقضى حاجته بهذه الروح؟!.

أما "عبد الله بن عثمان عبدان" أحد شيوخ الإمام البخاري.. فيتجاوز ذلك إلى حد يفوق الاستطاعة! ويسعى لسد حاجة الملهوف لدى الإخوان، بل لدى السلطان، فيقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ما سألني أحد حاجة إلا قمت له بنفسي، فإن تم وإلا قمت له بمالي، فإن تم وإلا استعنا له بالإخوان، فإن تم وإلا استعنت له بالسلطان"!.

علق الناقل بقوله: فلله دره؛ فكم من جواد كريم اليوم يرى أنه قد بلغ المنزلة القصوى بعدم استطاعته قضاء حاجة؛ لأنه لو استطاع لقضاها، فهو والمستطيع سواء، أما هؤلاء السابقون الأفذاذ فيشغلهم ويؤرقهم أن تُقضى الحاجة ويفرح الملهوف وينقلب إلى أهله مسرورا!.

ومن هؤلاء الأفذاذ "قيس بن سعد بن عبادة" رضي الله عنهما، أحد كبار الأجواد، مرض يوما فاستبطأ إخوانه في العيادة، فلما سأل علم أن الذي منعهم هو حياؤهم لما له عليهم من الدين، فما كان منه إلا أن قال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من الزيارة!

ثم أمر مناديًا ينادي: من كان لقيس عليه مال فهو منه في حِلٍّ! فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه لكثرة من عاده!



أقوال السّلف في قضاءِ حوائج الناس

سوف نذكر بعض أقوال سلفنا الصالح في قضاء حوائج الناس:

١- قال حكيم بن حزام رضي الله عنه: "ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة، إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجرَ عليها". [سير أعلام النبلاء للذهبي: (ج: ٣/ ص: ٥١)].

٢- قال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: "تفقَّدوا إخوانكم بعد ثلاث، فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكِّروهم". [إحياء علوم الدين للغزالي: (ج:٢/ ص:١٧٥)].

٣- جاء رجل إلى الحسن بن سهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يستشفع به في حاجة فقضاها، فأقبل الرجل يشكره، فقال له الحسن بن سهل: "علامَ تشكرنا ونحن نرى أن للجاه زكاةً كما أن للمال زكاةً؟!". [الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي: (ج:٢/ ص: ١٧٦)].

٤- قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لأن أقضي لأخ لي حاجةً أحب إليّ من أن أعتكف شهرين".[قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: (ص: ٤٨، رقم: ٣٨)].

٥- قال عبيد الله بن العباس رَحِمَهُ ٱللَّهُ لابن أخيه: "إن أفضل العطية ما أعطيت الرجل قبل المسألة، فإذا سألك فإنما تعطيه ثمن وجهه حين بذَله إليك". [قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: (ص: ٤٩، رقم: ٣٩)].

٦- قال عبدالله بن جعفر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ليس الجوَاد الذي يعطيك بعد المسألة، ولكن الجواد الذي يبتدئ؛ لأن ما يبذله إليك من وجهه أشدُّ عليه مما يُعطى عليه". [قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا:(ص: ٥٠، رقم: ٤٢)].

٧- قال طاوس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا أنعم الله على عبد نعمةً، ثم جعل إليه حوائج الناس؛ فإن احتمل وصبَر، وإلا عرض تلك النعمة للزوال". [قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: (ص: ٥٦، رقم: ٥٠)].

٨- قال مطرف بن عبدالله بن الشِّخير رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصاحب له: "إذا كانت لك إلي حاجة، فلا تكلمني فيها، ولكن اكتبها في رقعة، ثم ارفعها إلي، فإني أكره أن أرى في وجهك ذلَّ المسألة". [القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا: (ص: ٣١)].

٩- قال أسماء بن خارجة رَحِمَهُ اللَّهُ: "ما شتمتُ أحدًا قط، ولا رددتُ سائلًا قط؛ لأنه إنما كان يسألني أحد رجلين: إما كريم أصابته خصاصة وحاجة، فأنا أحق مَن سدَّ مِن خَلَّته، وأعانه على حاجته، وإما لئيم أَفدي عرضي منه، وإنما يشتمني أحد رجلين: إما كريم كانت منه زلة أو هفوة، فأنا أحق مَن غفَرها، وأخَذ بالفضل عليه فيها، وإما لئيم فلم أكن لأجعل عرضي إليه". [قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: (ص:٦١، رقم: ٦١)].

١٠- قال محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ: "ما رددت أحدًا عن حاجة أقدر على قضائها، ولو كان فيها ذَهاب مالي". [قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا:(ص:٦٤، رقم: ٦٧)].

١١- قال محمد بن النضر الحارثي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أول

المُروءة طلاقة الوجه، والثاني التودد إلى الناس، والثالث قضاء الحوائج، ومن فاته حسب نفسه، لم ينفعه حسب أبيه (يريد الدين)". [المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري: (ج:٣/ ص:١٨٩/ رقم: ٨٢٨)].

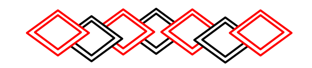
١٢- قال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لم يبق من لذة الدنيا إلا قضاء حوائج الإخوان". [آداب الصحبة لأبي عبد الرحمن السلمي: (ص: ١٠٢، رقم: ١٥٠)].

١٣- قال عثمان بن واقد العمري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قيل لمحمد بن المنكدر: أي الدنيا أعجب إليك؟ قال: إدخال السرور على المؤمن". [قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: (ص: ٤٤، رقم: ٣٣)].

١٤- قال علي بن الحسن بن شقيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "سمعت

عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وسأله رجل: يا أبا عبد الرحمن، قرحة خرجت في رُكبَتي منذ سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج، وسألت الأطباء فلم أنتفع به، قال: اذهب فانظر موضعًا يحتاج الناس إلى الماء فاحفر هناك بئرًا، فإني أرجو أن تنبع هناك عين، ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبَرِئ؛ (أي: شفاه الله تعالى)". [شعب الإيمان للبيهقي:(ج:٥، ص:٦٩، رقم: ٣١٠٩)].

http://almoslim.net/node/280448.



متى تعرف أخاك؟؟

قال الإمام ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والإخوان يُعرفون عند الحوائج لأن كل الناس في الرخاء أصدقاء، وشرّ الإخوان الخاذل لإخوانه عند الشدة والحاجة". [روضة العقلاء: ٢٢١]

الصديق عند الضيق..

وَلَيْسَ أَخِي مَنْ وَدَّنِي بِلِسَانِهِ...

وَلَكِنَّ أَخِي مَنْ وَدَّنِي فِي النَّوَائِبِ

وَمَنْ مَالُهُ مَالِي إِذَا كُنْتُ مُعْدَمًا...

وَمَالِي لَهُ إِنْ عَضَّ دَهْرٌ بِغَارِبِ

فَلَا تَحْمَدَنَّ عِنْدَ الرَّخَاءِ مُؤَاخِيًا...

فَقَدْ يُنْكِرُ الْأَخَوانُ عِنْدَ الْمَصَائِبِ

▪▪▪▪▪▪

إِذَا كَانَ وُدُّ الْمَرْءِ لَيْسَ بِزَائِدٍ

عَلَى مَرْحَبًا أَوْ كَيْفَ أَنْتَ وَحَالُكَا

وَلَمْ يَكُ إِلَّا كَاشِرًا أَوْ مُحْدِثًا

فَأُفٍّ لِوُدٍّ لَيْسَ إِلَّا كَذَلِكَا

لِسَانُكَ مَعْسُولٌ وَنَفْسُكَ بَشَّةٌ

وَعِنْدَ الثُّرَيَّا مِنْ صَدِيقِكَ مَالُكَا

فَأَنْتَ إِذَا هَمَّتْ يَمِينُكَ مَرَّةً

لِتَفْعَلَ خَيْرًا قَابَلَتْهَا شِمَالُكَا

▪▪▪▪▪▪

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بُؤْسٍ

قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي الْقِيَـاسِ

وَمَا يَبْقَى الصَّدِيقُ بِكُلِّ عَصْـرٍ

ولا الإخوانُ إلا للتـآسي

عمرتُ الدَّهرَ ملتمسـًا بجهدي

أخا ثقةٍ فألهـاني التماسـي

تنكرتِ البلادُ ومن بجهدي

كَأَنَّ أُنَاسَهَا لَيْسُـوا بِنَـاس

▪▪▪▪▪▪

ما أكْثر النَّاسَ! لا بلْ ما أقَلَّهم!

الله يَعلَمُ أَنّي لَم أَقُـلْ فَنَدا

إِنِّي لأَفْتَحُ عيني حِين افتَحُهـا

على كثير ولكنْ لا أرى أَحـدا

دَهْرُنَـــا دَهْـــرُ افْتِـــرَاقِ لَـــيْسَ ذَا دَهْـــرَ تَـــلَاقِ

قَـــلَّ مَـــنْ يَلْقَـــاكَ إِلَّا بِسَـــــلَامٍ وَاعْتِنَـــــاقِ

فَـــإِذَا وَلَّيْـــتَ عَنْـــهُ بِنْـــتَ مِنْـــهُ بِطَـــلَاقِ

......

مَضَـــى الْأَحْـــرَارُ وَانْقَرَضُـــوا جَمِيعًـــا

وَخَلَّفَنِـــي الزَّمَـــانُ عَلَـــى عُلُـــوجِ

وَقَـــالُوا قَـــدْ لَزِمْـــتَ الْبَيْـــتَ جِـــدًّا

فَقُلْـــتُ لِفَقْـــدِ فَائِـــدَةِ الْخُـــرُوجِ

التعميم هكذا فيه مبالغة ولكن ((وقليل ما هم))..

وقـــد كـــانوا إذا عـــدّوا قلـــيلا

فصـــاروا اليـــوم أقـــلّ مـــن القليـــل

والله المستعان.

قضاء حوائج الناس في واحة الشعراء

١ – قال أبو العتاهية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

اقْـــضِ الحـــوائجَ مـــا اســـتطعْتَ
وكـــنْ لِهَـــمِّ أخيـــك فـــارِجْ

فلَخيـــــــرُ أيـــــام الفتـــــــى
يـــومٌ قضـــى فيـــه الحـــوائجْ

[الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي: (ج:٢، ص:١٧٨)].

٢ – قال الحسن بن سهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فُرِضـــت علـــيّ زكـــاةُ مـــا ملَكـــت يـــدي
وزكـــاةُ جـــاهي أن أُعـــين وأَشـــفعا

فــإذا ملَكــتَ فجُــدْ فــإن لــم تَسْــتطعْ

فاجهَـــدْ بوســعِك كلِّـــه أن تَنفعـــا

[الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي: (ج:٢، ص: ١٧٦)].

٣- قال الشاعر:

لا تَقطعــنَّ يــدَ الإحســان عــن أحــدٍ

مــا دمــتَ تَقــدِر والأيــام تــاراتُ

فاشــكُر فضــيلةَ صُــنع الله إذ جعَلــت

إليــك لا لــكَ عنْــد النــاس حاجــاتُ

[روض الأخيار محمد بن قاسم الأماسي: (ص: ٣٥٥)].

٤-قال الشاعر:

قــل لــي بربِّــك مــاذا ينفــعُ المــالُ

إنْ لــم يُزَيِّنْــه إحْســانٌ وإفْضــالُ

المـــالُ كالمـــاءِ إن تَحْـــبِسْ ســـواقيَه

يَأْسُـــنْ وإنْ يَجْـــرِ يَعْـــذُبْ منْـــه سلســـالُ

تَحيـــا علـــى المـــاء أغـــراسُ الريـــاض كمـــا

تَحيـــا علـــى المـــال أرواحٌ وآمـــالُ

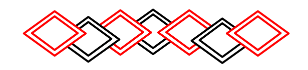
إن الثـــــراءَ إذا حِيلـــــتْ مـــــواردُه

دونَ الفقيـــر فخيـــرٌ منـــه إقـــلالُ

الله أعطـــاكَ فابْـــذُلْ مِـــن عطيَّتِـــه

فالمـــالُ عاريـــةٌ والعمـــرُ رحَّـــالُ

[موارد الظمآن لدروس الزمان لعبد العزيز السلمان: (ج:٢، ص:١٨٦)].



﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾
مَن سَلِمَ من الشُّحِ فقد أفلَحَ وأنجَح

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ وردت هذه الآية في كتاب الله في موضعين:

الأول: في سياق الثناء على الأنصار رضي الله عنهم في سورة الحشر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩﴾ [الحشر: ٩].

الثاني: في سورة التغابن في سياق الحديث عن فتنة الأموال والأولاد والأزواج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [التغابن: ١٤-١٧].

قال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح".

قال إمام المفسرين العلامة ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ﴾ يقول تعالى ذكره: من وقاه الله شحّ نفسه ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ المخلَّدون في الجنة. والشحّ في كلام العرب: البخل، ومنع الفضل من المال... ".

وأما العلماء فإنهم يرون أن الشحّ في هذا الموضع إنما هو أكل أموال الناس بغير حقّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [الحشر: ٩]، هو ألا يأخذ شيئًا مما نهاه اللّه عنه، ولا يمنع شيئًا أمره اللّه بأدائه، فالشح يأمر بخلاف أمر الله ورسوله". [مجموع الفتاوى: (١٠/ ٥٨٩)].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في موضع آخر: "فالشح - الذي هو شدة حرص النفس - يوجب البخل بمنع ما هو عليه؛ والظلمَ بأخذ مال الغير، ويوجب قطيعةَ الرحم، ويوجب الحسد". [مجموع الفتاوى: (٢٨/ ١٤٤)].

وتعقب شيخ الإسلام ابن تيمية الإمام العلامة شيخ

المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: "وابن مسعود جعل البخل خارجا عن الشح والنبي ﷺ جعل الشح يأمر بالبخل ومن الناس من يقول الشح والبخل سواء كما قال ابن جرير الشح في كلام العرب هو البخل ومنع الفضل من المال وليس كما قال بل ما قاله النبي ﷺ وابن مسعود أحق أن يتبع... ولكن كل بخل يكون عن شح فكل شحيح بخيل وليس كل بخيل شحيحا".

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: " الفرق بين الشح والبخل أن الشح هو شدة الحرص على الشيء والإحفاء في طلبه والاستقصاء في تحصيله وجشع النفس عليه، والبخل: منع إنفاقه بعد حصوله وحبه وإمساكه، فهو شحيح قبل حصوله بخيل بعد حصوله، فالبخل ثمرة

الشح، والشح يدعو إلى البخل، والشح كامن في النفس، فمن بخل فقد أطاع شحه، ومن لم يبخل فقد عصى شحه ووقي شره، وذلك هو المفلح. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]". [الوابل الصيب: ٣٣].

قال الإمام العلامة الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والظاهر من الآية أن الفلاح مترتب على عدم شح النفس بشيء من الأشياء التي يقبح الشح بها شرعا من زكاة أو صدقة أو صلة رحم أو نحو ذلك كما تفيده إضافة الشح إلى النفس، والإشارة بقوله: فأولئك إلى "من" باعتبار معناها، وهو مبتدأ وخبره هم المفلحون، والفلاح الفوز والظفر بكل مطلوب".

قال الإمام العلامة عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح، في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعا منقادا، منشرحا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه، بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته...".

قال الإمام العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الشح مداره على أمرين إما طمع فيما ليس لك أو فيما ليس من حقك وإما منع لما يجب عليك بذله فمن وقاه الله شح نفسه بحيث لا

يطمع فيما لا يستحق ولا يمنع ما يجب عليه فإن هذا من أسباب الفلاح....

وقاية شح النفس بأن يحمي الله عز وجل المرء من الطمع فيما لا يستحق أو من منع ما يجب عليه بذله فمن وقي ذلك كان من المفلحين والفلاح كلمة جامعة لحصول المطلوب وزوال المكروه".[نور على الدرب: (ج: ٥ / الصفحة: ٢)].

تأملات في الآية:

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. فاستعمال اسم الإشارة الذي هو للبعيد لرفعة منزلتهم وعظيم فضلهم، وضمير الفصل بين طرفي الكلام "أولئك المفلحون" وضع بينهما "هم" مما يشعر بالحصر، كأنه لا

مفلح إلا هؤلاء، فهؤلاء هم المفلحون الفلاح الحقيقي الذي هو الفلاح الأعظم والأكبر، وحقيقة الفلاح هي إدراك المطلوب والنجاة من المرهوب، وهو مطلب لكل الناس..

كيف علق الفلاح بالخلاص من هذه الصفة الذميمة؟

الإنسان إذا ابتلي بالشح يحصل له كل قبيح ومرذول من الأقوال والأفعال، فالشح هذا يحمله على كثير من المشكلات والمشاجرات وقطيعة الرحم والإساءة إلى الجيران والمعارف، هو باب مفتوح للمشكلات من كل ناحية؛ لأنه لا يفوت حظا من حظوظ نفسه، مستعد أن يقاطع الجميع وأن يفاصل بدريهمات قليلة؛ ولهذا حذر النبي ﷺ من الشح وأخبر أنه سبب الهلاك لمن قبلنا، وأنه

أمرهم بالقطيعة فقطعوا أرحامهم، فهو سبب للعداوات، وسبب لارتكاب الدنايا والمدنسات فيتلطخ عرضه ويتدنس...

فهذا الشح هو الذي يحمل الإنسان على تضييع عرضه، وعلى بذل كل ما عنده من مقومات الدين والأخلاق، ما له من رصيد في نفوس الناس، ومن أجل تحصيل شيء قليل من عرض الدنيا، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

فالذي يوق شح نفسه يترفع ويحلق عاليـًا، لا ينزل مع النازلين، يترفع عن المدنسات... [هذه التأملات في الآية من كلام الشيخ خالد السبت -حفظه الله-].

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. تذييل،

والواو اعتراضية، فإن التذييل من قبيل الاعتراض في آخر الكلام على الرأي الصحيح. وتذييل الكلام بذكر فضل من يوقون شح أنفسهم بعد قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ يشير إلى أن إيثارهم على أنفسهم حتى في حالة الخصاصة هو سلامة من شح الأنفس...[تفسير التحرير والتنوير].

فمن وقي شح نفسه، أي وُقي من أن يكون الشح المذموم خُلقًا له، لأنه إذا وُقي هذا الخُلُقَ سلِم من كل مواقع ذمه. فإن وقي من بعضه كان له من الفلاح بمقدار ما وُقيه.

واسم الإشارة لتعظيم هذا الصنف من الناس.

وصيغة القصر المؤداة بضمير الفصل للمبالغة لكثرة

الفلاح الذي يترتب على وقاية شح النفس، حتى كأن جنس المفلح مقصور على ذلك المُوقَى. [تفسير التحرير والتنوير].

فالوقاية من شح النفس تكون بالسعي في امتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه، وكثرة دعائه، ثم بالإنفاق في سبيله سبحانه وتعالى.

جاء في كتاب البيان والتحصيل لابن رشد المالكي رحمه الله: "جماع الخير كله في بذل المال في ذات الله تعالى، وإتعاب الأنفس والجوارح في العبادات كلها.. لأن في تقصير العبد في شيء من ذلك إبقاء على نفسه، وترفيهًا له عنها، فإذا لم يشح بنفسه وجسمه في ذلك بلغ الغاية.. كما أنه إذا لم يشح بماله بذله لله في مرضاته".

وأيُّ داءٍ أدوى وأعظم من البخلِ؟!!

قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝٣٧﴾ [النساء: ٣٧].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ – ١٠].

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**مَن سَيدُكُم يَا بَني سَلِمَةَ؟ فقالوا: جُدُّ بْنُ قَيسٍ، عَلى أنّا نُبَخِّلُهُ. قَالَ: وَأَيُّ دَاءٍ أَدوَى مِنَ البُخلِ!**). [صحيح الأدب المفرد: ٢٢٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "... فجعل البخل من

أعظم الأمراض". [مجموع الفتاوى:(٢٨/ ١٥٥)].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(خصلتان لا يجتمعان في مؤمنٍ: البخلُ، وسوءُ الخُلُقِ)**.[حديث صحيح لغيره: رواه الترمذي وغيره (صحيح الترغيب: ٢٦٠٨)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضـًا قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **(لا يجتَمعُ غبارٌ في سبيلِ الله ودُخانُ جهَنَّم في جوْفِ عبدٍ أبداً، ولا يجتَمعُ شُحٌّ وإيمانٌ في قلبِ عبدٍ أبداً)**. [حديث حسن: رواه النسائي، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم، واللفظ له. ورواه أطول منه بإسناد على شرط مسلم.. صحيح الترغيب: ٢٦٠٦.ج٢/ ٧٠٢)]

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(اجتنبوا**

السبع الموبقات. قيل: يا رسول الله ما هي؟ قال: الشرك بالله، والشح، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات). [صحيح: رواه النسائي (صحيح النسائي: ٣٤٣٢)].

عن جابر رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: **(اتَّقوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلماتٌ يومَ القِيامَةِ، واتَّقوا الشُّحَّ؛ فإنَّ الشُّحَّ أهْلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُم؛ حمَلَهُم على أنْ سَفَكوا دماءَهُم، واسْتَحلُّوا محارِمَهُم)**. [رواه مسلم].

(الشُّحُّ) مثلث الشين: هو البخل والحرص. وقيل: (الشُّحُّ): الحرص على ما ليس عندك، والبخل بما عندك. [صحيح الترغيب والترهيب: (٢/ ٧٠١)].

عـن ابـن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـال: قـال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(ثـلاثٌ مُهْلِكـاتٌ، وثـلاث مُنْجِيـاتٌ، وثـلاثٌ كفَّـاراتٌ، وثـلاثٌ دَرجـاتٌ، فأمَّـا المُهْلِكـاتُ: فشـحٌّ مطـاعٌ، وهـوى مُتَّبَـعٌ، وإعْجابُ المَرْءِ بِنَفْسِه...)**. [حديث حسن لغيره: رواه الطبراني في "الأوسط" (صحيح الترغيب: ٢٦٠٧)].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(شرُّ ما في الرجلِ؛ شحٌّ هالعٌ، وجُبْنٌ خالعٌ)**. [رواه أبو داود، وابن حبان في "صحيحه" (الصحيحة: ٥٦٠)].

قوله: "شحٌّ هالع" أي: محزن، والهلع أشد الجزع.

وقوله: "جبن خالع": هو شدة الخوف وعدم الإقدام، ومعناه: أنَّه يخلع قلبه من شدة تمكنه منه. [صحيح الترغيب: (٢/ ٧٠٢)].

عن عمر ﵁ قال: (دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَسَأَلَاهُ فِي شَيْءٍ فَدَعَا لَهُمَا بِدِينَارَيْنِ فَإِذَا هُمَا يُثْنِيَانِ خَيْرًا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **لَكِنْ فُلَانٌ مَا يَقُولُ ذَلِكَ، وَلَقَدْ أَعْطَيْتُهُ مَا بَيْنَ عَشَرَةٍ إِلَى مِائَةٍ فَمَا يَقُولُ ذَلِكَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَخْرُجُ بِصَدَقَةٍ مِنْ عِنْدِي مُتَأَبِّطَهَا** (أي: يحملها تحت إبطه) **وَإِنَّمَا هِيَ لَهُ نَارٌ**، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَيْفَ تُعْطِيهِ وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ لَهُ نَارٌ؟ قَالَ: **فَمَا أَصْنَعُ؟ يَأْبَوْنَ إِلَّا أَنْ يَسْأَلُونِي وَيَأْبَى اللهُ لِيَ الْبُخْلَ**). [أخرجه أحمد، وابنُ حبَّان، والحاكم، وأبو يعلى في «مسنده» (صحيح الترغيب والترهيب: ٨٤٤)، (غاية المرام: ٤٦٣)].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا**

خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا). [رواه البخاري: (١٣٧٤)، ومسلم: (١٠١٠)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما الدعاء بالتلف: فيحتمل تلف ذلك المال بعينه، أو تلف نفس صاحب المال، والمراد به: فوات أعمال البر بالتشاغل بغيرها.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإنفاق الممدوح: ما كان في الطاعات، وعلى العيال، والضيفان، والتطوعات.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو يعم الواجبات، والمندوبات، لكن الممسك عن المندوبات: لا يستحق هذا الدعاء، إلا أن يغلب عليه البخل المذموم، بحيث لا تطيب نفسه بإخراج الحق الذي عليه، ولو أخرجه". [فتح الباري: (٣/ ٣٠٥)]

من هو البخيل، وما حدّه في الشرع؟

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "الْبَخِيل هُوَ مَانع مَا وَجب عَلَيْهِ، فَمن أدّى الْوَاجِب عَلَيْهِ كُله لم يسم بَخِيلًا، وَإِنَّمَا الْبَخِيل مَانع مَا يسْتَحق عَلَيْهِ إِعْطَاؤُهُ وبذله". [انتهى من "جلاء الأفهام" (ص: ٣٨٥)، ومثله للقرطبي: (٥/ ١٩٣)].

قال الإمام الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: " الْبَخِيلُ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُ حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَمْنَعَ، إِمَّا بِحُكْمِ الشَّرْعِ، وَإِمَّا بِحُكْمِ المروءة، وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره". [انتهى من إحياء علوم الدين: (٣/ ٢٦٠)].

قال الإمام العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "البخل: هو منع ما يجب، وما ينبغي بذله". [انتهى من "شرح رياض الصالحين" (٣/ ٤١٠)].

البخل والجبن صنوان..
والشجاعة والسخاء أخوان

الجبن والبخل صنوان، فالأول بخل بالنفس، والثاني بخل بالمال، وقد استعاذ منهما النبي ﷺ فقال: (**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**). [صحيح البخاري].

قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما سرور الروح ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل، وعلى كل معرض عن الله سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به وبأسمائه تعالى وصفاته ودينه، متعلق القلب بغيره". [زاد المعاد: (٢ / ٢٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولهذا جاء الكتاب والسنة بذم البخل والجبن، ومدح الشجاعة والسماحة في سبيله دون ما ليس في سبيله؛ فقال النبي ﷺ: **(شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ)**. [رواه أبو داود (صحيح أبي داود: ٢٢٦٨)]، وقال ﷺ: **(مَن سَيدُكُم يَا بَنِي سَلِمَةَ؟** فقالوا: جُدُّ بْنُ قَيسٍ، عَلى أَنَّا نُبَخِّلُهُ. قَالَ: **وَأَيُّ دَاءٍ أَدوَى مِنَ البُخلِ!)**. [رواه البخاري في الأدب المفرد (صحيح الأدب المفرد: ٢٢٧)]، فجعل البخل من أعظم الأمراض". [مجموع الفتاوى: (٢٨/ ١٥٥)].

قال أحد الحكماء في وصيته: عليكم بأهل السخاء، والشَّجَاعَة، فإنَّهم أهل حسن الظن بالله..

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الصدقة من جنس

القتال، فالجبان يرجف، والشجاع يثبت" . [مجموع الفتاوى (٩٥/ ١٤)].

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والجبن والبخل قرينان: فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل". [الجواب الكافي: (١/ ٧٣)].

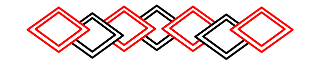
وقال الإمام العلامة ابن القيم أيضا: "...فإنَّ الإحسان المتوقَّع من العبد إما بماله؛ وإما ببدنه؛ فالبخيل مانع لنفع ماله، والجبان مانع لنفع بدنه...". [مفتاح دار السعادة: (١/ ١١٣)].

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والشجاع ضد البخيل؛ لأن البخيل يضن بماله، والشجاع يجود بنفسه، كما قال القائل:

كـــم بـــين قـــوم إنَّمـــا نفقـــاتهم
مـــال وقـــوم ينفقـــون نفوســـا

[الفروسية: ٤٩٨].

قال الإمام الحافظ الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ:"الشَّجَاعَة والسخاء أخوان، فمن لم يجد بماله، فلن يجود بنفسه". [السير: (١٩ / ٢٣٥)].



بعض ما جاء عن السّلف الصّالح في باب الكرم والجود

يقول علي بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:" إني لأستحي من الله أن أرى الأخ من إخواني فأسأل له الجنة وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان غداً قيل لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بيدك بها أبخل وأبخل". [تاريخ دمشق لابن عساكر: (٤١/ ٣٨٥)، وتهذيب الكمال: (٢٠/ ٣٩٣)، وسير أعلام النبلاء: (٤/ ٣٩٤)].

كان لمحمد بن كعب القرظي أملاك بالمدينة، وحصّل مالا مرة فقيل له: ادخره لولدك، قال: "لا، ولكن أدخره لنفسي عند ربي، وأدخر ربي لولدي". [تاريخ دمشق: (٥٥/ ١٤٥)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٦٨)].

واشترى عامر بن عبد الله بن الزبير نفسه من الله ست مرات، يعني كل مرة يتصدق بديته. [تاريخ جرجان: (ص: ٢٠٣)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٥١٨)].

وكان الزهري من أسخياء الناس، كان يعطي فإذ فرغ ما معه يستلف من عبيده ويقول: "يا فلان أسلفني كما تعرف، وأُضْعِف لك كما تعلم"، طبعًا ليس ذلك على سبيل المشارطة؛ لأن هذا لا يجوز".[تاريخ دمشق: (٥٥/ ٣٤٢)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٣٥)].

وعن مالك قال: كان ابن شهاب الزهري من أسخى الناس، فلما أصاب تلك الأموال قال له مولى له وهو يعظه: قد رأيتَ ما مر عليك من الضيق فانظر كيف تكون، أمسكْ عليك مالك، قال: "إن الكريم لا تحنّكه

التجارب". يعني لا يتعظ بنفقة أنفقها من قبل فأفلس إذا كان ذلك في وجوه البر. [تاريخ بغداد: (٣/ ١٧٦)، وسير أعلام النبلاء: (٥/ ٣٣٨)].

ومن كلام أحمد بن خالد يقول: "من لم يقدر على نفسه بالبذل لم يقدر على عدوه بالقتل". [سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٦٦)].

لأن النفس أغلى على صاحبها من المال، فإذا لم يقوَ على نفسه بالبذل -بذل المال- فإنه سيكون شحيحًا بنفسه فلا يستطيع أن يقدم على عدوه، ولهذا يقول الذهبي تعليقـًا عليه في "سير أعلام النبلاء" يقول: "الشجاعة والسخاء أخوان فمن لم يجد بماله فلن يجود بنفسه".[سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٦٦)].

"وكان الحسين بن حفص الهمداني وجْهَ الناس وزينتهم، وكان دخله في كل سنة مائة ألف فما وجبت عليه زكاة قط، وكانت صِلاته وجوائزه دارّة على المحدّثين وأهل العلم والفضل مثل أبي مسعود وعمر بن علي الفلاس، وكان من المختصين بسفيان الثوري، وقيل: إن سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حج على مركبه". [سير أعلام النبلاء: (٨/ ٤٢١)].

ويقول الحاكم: "سألت محمد بن الفضل بن محمد عن جده، فذكر أنه لا يدخر شيئًا جهده بل ينفقه على أهل العلم، وكان لا يعرف مقادير العملات، لا يميز بين العشرة والعشرين، يقول: وربما أخذنا منه العشرة فيتوهم أنها خمسة".[سير أعلام النبلاء: (١١/ ٢٢٨)].

وهذا نقل عن بعض أهل العلم المعاصرين كالشيخ الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، كان إذا جاء رجل يقترض منه يعطيه ويقول: ليست بقرض، نحن ما نحتاج إليه، لا ترده علينا، فكان يعطي قراباته ويصلهم، وكان يخرج أحيانًا بنعلين في شكلين مختلفين لا ينتبه.

الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام المعروف كان سخيًّا جواداً لا يدخر ديناراً ولا درهمًا، مهما حصل أخرجه، وكان يخرج في الليل بالدقيق إلى بيوت الفقراء متنكراً في الظلمة، فيعطيهم ولا يُعرف، وكان تأتيه الثياب فيعطي الناس وثوبه مرقع.[سير أعلام النبلاء: (١٦/ ٢٩)].

بعث الأفضل بن صلاح الدين إلى الحافظ -يعني عبد

الغني- بنفقة وقمح كثير ففرقه كله، وأُهدي إلى بيته ثمار مشمش، فكانوا يفرقون فقال: فرقوا ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران:٩٢]، يقول لأهله. [سير أعلام النبلاء: (١٦/ ٢٩)].

سليمان التميمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإمام الكبير العابد فلم تمر عليه ساعة قط إلا تصدق بشيء، فإن لم يكن شيء صلى ركعتين.[حلية الأولياء: (٣/ ٢٨)].

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ حينما ذكر خالد الطحان: "بلغني أنه اشترى نفسه من الله ثلاث مرات". [تهذيب الكمال: (٨/ ١٠٢)، وسير أعلام النبلاء: (٧/ ٢٩٥)]، يعني يتصدق بديته. وقال أيضًا: "اشترى نفسه من الله أربع مرات، فتصدق بوزن نفسه فضة أربع مرات". [تهذيب الكمال: (٨/ ١٠٢)، وسير أعلام النبلاء: (٧/ ٢٩٥)].

قال المأمون لمحمد بن عباد: أردت أن أولّيك فمنعني إسرافك، قال: منْعُ الجود سوء ظن بالمعبود، هذا يقوله محمد بن عباد: منْعُ الجود سوء ظن بالمعبود، فقال: لو شئت أبقيت على نفسك، فإن ما تنفقه ما أبعد رجوعه إليك، قال: من له مولى غني لم يفتقر، فقال المأمون: "من أراد أن يكرمني فليكرم ضيفي محمداً "، كأنه استحسن ما قال، فجاءته الأموال فما ادخر منها درهمًا، وقال: "الكريم لا تحنكه التجارب". [سير أعلام النبلاء: (٨/ ٣٣٠)].

ذكروا عن الشافعي أنه أسخى الناس على الدينار والدرهم والطعام، وقال: أفلست من دهري ثلاث إفلاسات، فكنت أبيع قليلي وكثيري حتى حلي بنتي وزوجتي ولم أرهن قط.[سير أعلام النبلاء: (٧/ ٢٤٩)].

وكان الحسن بن سهل فرداً في الجود أراد أن يكتب لسقّاء مرة ألف درهم فسبقته يده فكتب ألف ألف درهم فروجع في ذلك، قيل: حصل خطأ فقال: "والله لا أرجع عن شيء كتبته يدي".[سير أعلام النبلاء: (١١/ ١٧٢)]، فصولح السقّاء على جملة، يعني المبلغ غير عادي.

يقول أبو عثمان الجبري: " لا يكمل الرجل حتى يستوي قلبه في المنع والعطاء، وفي العز والذل".[سير أعلام النبلاء: (١١/ ٤٢)]، يعني إذا حصل له غنى وإذا حصل له حاجة، وإذا حصل له رفعة وعز، وإذا حصل له ذل.

وكان من كرم نصر الدولة أحمد بن مروان أنه كان يبذر القمح للطيور.[سير أعلام النبلاء: (١٣/ ٣٤٠)].

[موقع الشيخ الفاضل الدكتور خالد السّبت نفع الله به].

أشعار عن الكرم والجود والبذل

يا مَنْ تَصَدَّقَ مالُ اللهِ تَبْذلُهُ

في أوجُهِ الخيرِ ما لِلمالِ نُقصانُ

كَمْ ضاعَفَ اللهُ مالاً جادَ صاحِبُهُ

إنَّ السَخاءَ بِحُكْمِ اللهِ رضوانُ

الشحُّ يُفْضي لِسُقمٍ لا دَواءَ لَهُ

مالُ البَخيلِ غَدا إرْثاً لِمَنْ عانوا

إنَّ التَصَدُّقَ إسعادٌ لِمَنْ حُرِموا

أهلُ السَّخاءِ إذا ما احْتَجْتهُمْ بانوا

داوي عَليلَكَ بالمِسْكينِ تُطْعِمُهُ

البَـذلُ يُنْـجيـكَ مِـنْ سُـقْـمٍ وَنِيرانُ

يا مُنْفِقا خـَلَفا أُعْطِيتَ مَنْزِلَـةَ

يا مُمْسِكـًا تـَلَفـًا تـَلْقى وَخُسْـرانُ

لا تـَخْذِلــنَّ لآتٍ أرادَ مَسْألَـةَ

جَـلَّ الَّذي ساقـَهُ كافاكَ إحْسـانُ

.....

صنعُ الجميلِ وَفعلُ الخيرِ إنْ أُثِرا

أبقى وَأَحمـد أَعمــال الفتى أَثَــرا

بَلْ لستُ أَفهم معنى للحياة سوى

عن الضعيفِ وإنقاذ الذي عثـرا

والناسُ ما لم يواسوا بعضَهمْ فهمُ

كالسائمـاتِ وَإن سمَّيتهمْ بشرا

إِنْ كان قلبك لم تعطفه عاطفةٌ

عَلى المساكين فاستبدلْ به حجرا

هي الإغاثةُ عنوانُ الحيـاةِ فإِنْ

فقدتهـا كنت مَيْتًا بعد ما قبـرا

ديني الذي عُظِّمَتْ عندي شعائرُهُ

وَدينُ كلِّ امرئٍ قد رقَّ أو شعرا

خفضُ الجناحِ لأَبناءِ السبيل إذا

ما ازداد خدي لذي الكبريا صعرا

بسْلٌ عَلَى العينِ تكرى بالنعيم إِذا

ما كان جاريَ من ضرَّائِه سهرا

فجنةُ الخلدِ ما أَنفكُّ أَحسبهـا

إذا انفردت بها دون الورى سقرا

قومي: وَدعوتهمْ قد كانتِ الجَفَلى

إن كان غيرهمُ يختصُّ بالنَقَرى

المؤثرون وَلو أَعيت خصاصتهمْ

والحافظونَ إذا ما غيرهم غدرا

مَنْ "كابن مامة" إيثاراً لصاحبـه

يعالجُ الموتَ في الإِيثار مصطبرا

يقول: وَهو عَلَى وِرد الردى ظَمِىءٌ

من حيث صاحبه ريّان قد صدرا

لو أَعْوَزَ الماءُ أَصحابي سقيتهم

دمي وَلست عَلَى العِلاَّت معتذرا

إِن فاتك الخيرُ والإِحسان في بطلٍ

حيّى البطولةَ والإِحسانَ في "عمرا"

أَمسى الخليفة يولى مِن معونتِه

مَنْ أنشب الجوعُ في أَطفالِها ظفرا

وقوفُه عندها بالباب منكسـرا

أَجلُّ منه بباب "القدس" منتصرا

■■■■■

تــراه إذا ما جـئته متهـــللا

كأنك تعطيه الذي أنت سائله

تعوّد بسط الكف حتـــى لو أنه

ثناها لقــبض لم تجبه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير روحه

لجـاد بها فلـيتق الله سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته

فلُجَّته المعروف والجود ساحله

■■■■■

مهما تَقِلَّ ثمالةُ الموجـودِ

لا تحرمِ المسكينَ قطرةَ جُودِ

فإذا حباكَ الله فضلاً واســعـًا

فالبخلُ خسرانٌ وشبهُ جحودِ

بيضُ الأيادي خيرُ ما أسلفتَــهُ

دفعـًا لآفاتِ الليالي الســودِ

والمالُ أعودُهُ وأجــزلُهُ رِيـًا

ما كانَ فرضَ العبد للمعبودِ

■■■■■

يقولون إني مسرف إذ يرونني

أطوق أعناق الرجال بإحساني

فقلت لهم موتوا لئاما بغيظكم

فإني شريت المجد بالتافه الداني

إذا جئتم يوم الحساب بكنزكم

أجيء بعفو من إلهي و غفران

■■■■■

سأبذل مالي كلما جاء طالب

وأجعله وقفا على القرض والفرض

فإما كريما صنت بالجود عرضه

وإما لئيما صنت عن لؤمه عرضي

■■■■■

يُهـــينُ المـــالَ أقـــوامٌ كِـــرامٌ

ومـــالُ البـــاخلينَ لهـــم مُهـــينُ

ومـــا يُفنـــي الكـــريمَ فنـــاءُ مـــالٍ

ولا يبقـــى لمـــا يُبقـــي الضـــنينُ

■■■■■

ويظهر عيب المرء في الناس بخله

ويسترهُ عنهم جميعًا سخاؤه

تغطَّ بأثـــواب السخـــاءِ فإننـــي

أرى كل عيبٍ والسخاءُ غطاؤه

■■■■■

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه

تملكه المـــال الذي هو مالكه

■■■■■

لا تعذلوا كرمي على الإســـراف

ربح المحامد متجر الأشـــراف

إني من القـــوم الذين أكفهم

معتادة الإتــلاف و الإخـلاف

▪▪▪▪▪

حــر إذا جئتَه يومًا لتـتســألـه

أعطاك ما ملكت كفاه واعتـذرا

يخفي صنائـعَه والله يظهــرها

إن الجــميل إذا أخفــيته ظهرا

▪▪▪▪▪

يمضي أخوك ولا تلقى له خلفًا

والمالُ بعد ذهاب المال يُكتسبُ

▪▪▪▪▪

يُــــلام أبو الفضــل في جــودِه

وهل يمــلك البــحر ألا يفيـض

▪▪▪▪▪

ليس العطاء من الفضول سماحة

حتى تجــود و ما لديك قليـل

ومن طرائف المعروف التي تروى بين العرب أن حاكم مصر استدعى الشعراء يومـًا، فصادفهم شاعر فقير بيده جرّة فارغة ذاهباً إلى البحر ليملأها ماء، فرافقهم إلى أن وصلوا إلى دار الأمير، فبالغ في إكرامهم والإنعام عليهم، ولمّا رأى الرجل بينهم والجرّة على كتفه، رث الثياب، قال له: من أنت؟ وما حاجتك؟

فأنشد الرجل:

ولما رأيتُ القومَ شدوا رحالهم

إلى بحرِك الطّامي أتيتُ بِجرتّي

فقال الأمير: املأوا له الجرّة ذهباً وفضّة.

فحسده بعض الناس وقالوا: هذا فقير مجنون لا يعرف

قيمة هذا المال، وربّما أتلفه وضيّعه.

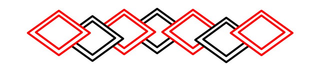
فقال الخليفة: هو ماله يفعل به ما يشاء، فمُلئت له جرّته ذهباً، وخرج إلى الباب ففرّق المال لجميع الفقراء، وبلغ الأمير ذلك، فاستدعاه وسأله على ذلك، فقال:

يجــود علينا الخيّــرون بمالهم

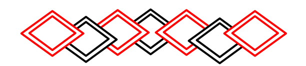
ونحــن بمــال الخيّريــن نجــودُ

فأعجب الأمير بجوابه، وأمر بأن تُملأ جرّتُه عشر مرّات ذهباً وفضة. وقال: الحسنة بعشر أمثالها..

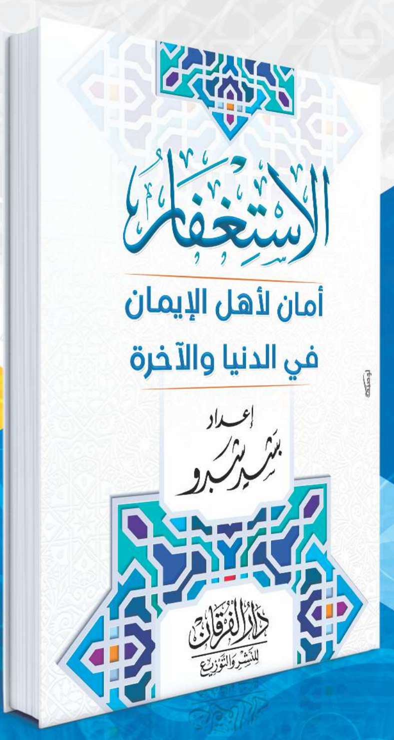
ولله درّ القائل: أفضل العطية ما كان من معسر لمعسر.







صَدَرَ لِلمُؤَلِف




ISBN 978-9931-616-48-1

